



موقع فضيلة الشيخ
د. محمد إسماعيل المقدم



شرح كتاب

الدَّاءُ وَالِدَاءُ

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد بن عبد بن إسماعيل المقدم



واحد يصوم لله عز وجل، صيام، قيام، أي شيء، أعمال الصالحة قبل الدعاء، تتصدق بصدقة حتى يقبل دعاؤك. فهذا أرجى لقبول هذا الدعاء. أيضا تتحرى انتقاء الأدعية التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها متى ما دعي بها. فإن الدعاء يستجاب. خاصة الأدعية وردت في تحديد أو تعيين الاسم الأعظم لله تبارك وتعالى. من ذلك ما في السنن وفي صحيح ابن حبان من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال: «لقد سأل الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب». وفي لفظ: «لقد سألت الله باسمه الأعظم».

ففرح النبي صلى الله عليه وسلم ودلنا على أن هذا إذا أردت أن تدعو الله عز وجل فضم هذا أو قدم بين يدي مسألتك هذا الدعاء. تريد مثلاً أن يبسط الله لك مثلاً في الرزق أو يشفي مريضك تقول: اللهم إني أسألك بأنني أشهد هذا التوسل بابه؟ بالعمل الصالح بأنني أشهد في إيماني. اللهم إني أسألك أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن مثلاً تبسط لي في رزقي أن تشفي مريضتي وهكذا. تقدم هذا بين يدي طلبك ومسألتك. وفي السنن وصحيح ابن حبان أيضاً حديث أنس بن مالك العمل المؤجل ضائع هذه قاعدة. العمل المؤجل ضائع إلا ما استتني. يعني لعل الإخوة يكون معهم أحياناً مثلاً ورقة وقلم. قد تكون في بعض الأشياء نبادر في كتاباتها وحفظها في الحال. لا لا تقول: أنا أما لما أروح أحاول ادور على الحديث ده عشان أحفظه. لكن اعتبر أنك لن تسمعه مرة ثانية أمامك. فركز في الحال على أن تحفظه ولا تخرج إلا وقد حفظته. حتى تبدأ ثم يرثه. إما إذا أجلت فسيضيع في زحمة الاعمال. وفي زحمة مشاغل الدنيا يعني. نعيد الحديث حتى يحفظه الإخوة. اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت. الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. هتقول: اللهم إني أسألك بابه؟ بأنني أشهد. وعشان ما اللهم إني أسألك بأنني أشهد يعني أتوسل إليك بشهادتي. اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت. وبعدين الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. نحن حتى ننتفع به ونطبقه. كيف نصلي العشاء إن شاء الله؟ بعد ذلك في أي وقت للدعاء يكون أمامك وجاهز في ذاكرتك. اه طبعاً ساعات بعض الناس تقول كُفُوا. القراءة المعروفة عندنا في طاعة عاصم. كُفُوا كُفُوا كُفُوا كُفُوا مش كُفُوا كُفُوا. وفي السنن وصحيح ابن حبان. أيضاً من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً ورجل يصلي. ثم دعا يعني ذلك الرجل الذي كان يصلي دعا فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت. المنان بديع السماوات والأرض. يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى». وهذا حديث صحيح أيضاً. أيضاً نود حفظه قبل أن ننصرف. الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً ورجل يصلي. ثم دعا يعني ذلك الرجل الذي كان يصلي دعا فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت. المنان بديع السماوات والأرض. يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى». اللهم اني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان. اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان. اللهم أني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان. ثم: بديع السماوات فيقدر حرف النداء. يعني: يا بديع السماوات. بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. نعيد الدعاء: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض. يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. اللهم أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان. بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. وفي جامع الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين». اسم الله الأعظم يعني كما يخبرنا الصادق المصدوم عليه الصلاة والسلام. أما بقى كلام الصوفية وأن الاسم الأعظم ده سر. وأن الناس بتقول البعض بالوراثة. ودي أسرار في الدين. ديننا ليس فيه أسرار. ما في ديننا أسرار. ما دام شيء يقربنا الى الله فلا بد أن يكون عليه الصلاة والسلام قد أخبرنا به. فموضوع كلام الصوفية أن الاسم الأعظم ده سر وأن ما يخلقش للناس وهذا الكلام الكهنوتي لا أصل له في الاسلام. فهذه أحاديث صحيحة اه تبين لنا اه بعض الروايات الصحيحة في الاسم الأعظم. يقول عليه الصلاة والسلام: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: □ وَالْهَيْكُمُ إِلَهٌ وَجَدَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ □، وفتحة آل عمران: □ أَلَمْ ۙ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ □ قال الترمذي: وهذا حديث صحيح. وفي مسند الإمام أحمد وصحيح الحاكم من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك وربيعة بن عامر. رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلْظُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ». «الظوا» يعني: تعلقوا والزموها وداوموا عليها. فإذا الإنسان أراد أن يدعو في أي وقت لا ينسى أبداً أن يكرر يا ذا الجلال والإكرام. في الوقت الآخر يكررها يا ذا الجلال والإكرام. يقول عليه الصلاة والسلام: «أَلْظُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» يعني تعلقوا بها، والزموها وداوموا عليها. وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أهمله الأمر رفع رأسه إلى السماء. وإذا اجتهد في الدعاء قال: يا حي يا قيوم. فإذا اجتهد في الدعاء يقول: يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم. أيضاً

فيه من حديث أنس بن مالك رضي الله قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر إذا ألم به أمر أو كربة قال: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث. وفي صحيح الحاكم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن: البقرة وأل عمران وطه» قال القاسم: فالتمستها فهي فإذا هي آية الحي القيوم. وفي جامع الترمذي وصحيح الحاكم من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه. عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت. قال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. إنه لم يدعو بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له. وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

دعاء ذي النون دعاء يونس عليه السلام: □ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ □ لن تضيق عليه □ فَنادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ٨٧ □ هل يمكن استنباط اه معنى هذا الحديث من القرآن؟ معنى الحديث تعميم هذا الدعاء في كل مؤمن. والآية ظاهرها أنها في حق يونس عليه السلام. □ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ □ الآية بتقول إيه؟ □ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنادَى فِي الظُّلُمَاتِ □ ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل. □ فَنادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ٨٧ □ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ ٨٨ □ . فقله تعالى: □ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ □ ، يعني: كذلك ننجي من دعا بدعاء يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت. فهذا ضمان من الله أن من دعا بدعوة ذي النون فإنه يتكفل تبارك وتعالى بإجابة دعائه. لم يدعو بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له. وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم. لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم». هذا أيضا من الثناء على الله الذي تقدمه بين يدي دعائك وبالذات عند الكرب والأمور الشديدة فتكون مستعد بمثل هذه الأسلحة لتواجه بها هذه الكروب. لا إله إلا الله العظيم الحليم. لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم. وفي مسند الامام أحمد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل كرب أن أقول: لا إله إلا الله الحليم الكريم. سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين" وفي مسنده أيضا من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن. فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك. يعني أنا عريق في العبودية. اللهم إني عبدك وابن عبدك ابن أمتك. ناصيتي بيدك. ماض في حكمك. عدل في قضاؤك. أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك. أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي. يعني المطر الذي يحيي القلب. تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي يقتضي ذلك أنك دائما تتداوى بالقرآن وتعالج نفسك بالقرآن وتقرأ القرآن. فالشخص الذي يهجر القرآن ويخاصم القرآن، هل يمكن القرآن يكون ربيع قلبه؟ إذا كان أنت الأرض لا تعرضها للمطر. فكيف تحيي قلبك؟ وهو أصلا لم يتعرض لذلك المطر. فمعنى أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي يعني أن أتعاطى هذا الدواء ليستلزم أنك تكون لك علاقة خاصة بكتاب الله تبارك وتعالى. أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي. إلا أذهب الله عز وجل همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً. فقل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ قال: «بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها». وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما كرب نبي من الأنبياء إلا استغاث بالتسبيح. ما كرب نبي من الأنبياء إلا استغاث بالتسبيح. الحقيقة هو ذكر هنا الإمام ابن القيم قصة نقلها عن كتاب المجابين. كتاب المجابين الذين استجيب دعاؤهم لابن أبي الدنيا رحمه الله. وذكر قصة عن واحد من الصحابة من الأنصار يكنى أبا معلق وكان تاجراً يتاجر بمال له ولغيره. يضرب به في الأفاق وكان ناسكاً ورعاً. فخرج مرة فلقية لص مقتع في السلاح. فقال له: ضع ما معك. فإني قاتلك. قال: ما تريد من دمي، شأنك بالمال. خذ المال. قال: أما المال فلي ولست أريد إلا دمك. قال: أما إذ أبيت فذرني أصلي أربع ركعات. قال: صلي ما بدا لك. فتوضأ ثم صلى أربع ركعات فكان من دعائه في آخر سجوده أن قال: يا غفور يا ودود. يا ذا العرش المجيد يا فعالاً لما تريد. أسألك بعزك الذي لا يرام وبملكك الذي لا يضام. وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص. يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني. ثلاث مرات. فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة. قد وضعها بين أذني فرسه. فلما بصر به اللص أقبل نحوه فطعنه فقتله. ثم أقبل إليه فقال: قم. فقال: من أنت بأبي أنت وأمي؟ فقد أغاثني الله بك اليوم. قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة. دعوت بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قفقهة. ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لأهل السماء ضجة. ثم دعوت بدعائك الثالث فقبل لي: دعاء مكروب. فسألت الله أن يوليني قتله. أن يكلفني بقتله. قتل اللص. قال الحسن: فمن توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروباً كان أو غير مكروب. طبعاً من ناحية القصة إذا صحت لا يستبعد. لكن نحتاج إلى التثبت من صحتها. أما من حيث التشريع الذي أربع ركعات بعد الدعاء. والدعاء بهذا الدعاء استجيب له. كما ذكرنا إنا نستدل بعمومات الأحاديث الثابتة عن المعصوم صلى الله عليه وسلم.

نستدل بعمومات الأحاديث الثابتة عن المعصوم صلى الله عليه وسلم وإلا فلا تثبت العبادات في مثل هذا الأمر يعني. يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: وكثيراً ما نجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم. ويكون قد اقترن

بالدعاء ضرورة صاحب وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه جعل الله سبحانه وتعالى إجابة دعوته شكرًا لحسنته، أو صادف وقت إجابة أو نحو ذلك فأجيب دعوته، فيظن الظان أن السر في لفظ ذلك الدعاء. فيظن الظن أن السر سر هو في لفظ الدعاء فقط. ويغفل وينسى الظروف التي قد تكون هي السبب في إجابة الدعاء وهو أنه كان مخلصًا جدًا في الدعاء، أو أنه مثلاً صادق وقت إجابة تفتح فيه أبواب السماء أو يكون قد عمل عملاً صالحًا شكر الله له ذلك العمل الصالح بإجابة دعائه أن السر في لفظ ذلك الدعاء فيأخذه مجردًا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي. وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعا في الوقت الذي ينبغي استعماله على الوجه الذي ينبغي، فانتفع به فظن غيره أن استعمال هذا الدواء بمجرد كافٍ في حصول المطلوب، فيكون غلطًا في ذلك، لكن الدواء له جرة له أوقات محددة حتى يستفيد الإنسان بها. وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس، ومن هذا أنه قد يتفق دعاؤه باضطرار عند قبره. إنسان يكون بجوار قبر، فيدعو الله تبارك وتعالى دعوة مخلصًا تمامًا من قلب وباضطرار وصدق شديد مع الله سبحانه وتعالى. واضح؟ فيستجاب الدعاء لماذا؟ لأنه دعا الله مخلصًا له الدين. فسر إجابته هو إخلاص الإيه؟ الدعاء لله عز وجل. فإذا استجيب الدعاء يظن الإنسان أن هذا السر هو في أنه كان يدعو عند القبر فاستجيب الدعاء، ظن أن السر هو في القبر أو في صاحب القبر. ولم يعلم أن السر إنما هو للاضطرار وصدق اللجوء إلى الله تبارك وتعالى. فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله إذا كان الدعاء في بيت من بيوت الله كان أفضل وأحب إلى الله تبارك وتعالى.

ثم يقول: والأدعية التعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحدده فقط. السلاح بضاربه لا بحدده فقط. يعني لو واحد معه سيف أو سهم أو أي نوع من الأسلحة. هل هو في حد ذاته ولا موضوع في دولاب أو مغلق عليه؟ هو السلاح ده له تأثير إن لم يكن هناك من يضربه. ثم إذا استعمله الضارب إذا كانت ضاربًا قويًا ويستطيع أن يستعمل هذا السلاح غير الشخص الذي سيكون ضعيفًا لا يقوى على مجرد رفعه. واضح؟ فإذا لا تنتظر للدعاء فقط لكن هناك حتى يستجاب الدعاء أمر متعلق بالداعي نفسه. لأن الدعاء إذا كان سلاحًا فإن السلاح ليس بحدده فقط ولكن أيضًا ضاربه. فمتى كان السلاح سلاحًا تامة لا آفة به، والساعد ساعدًا قويًا، والمانع مفقودًا حصلت به النكاية في العدو. ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح. كما ذكرنا الدعاء باثم أو قطيعة رحم أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر.

ثم يقول ابن القيم رحمه الله: وما هنا سؤال مشهور، وهو أن المدعو به إن كان قدر لم يكن بد من وقوعه دعا به العبد أو لم يدعو، وإلا سواء سأل العبد أو لم يسأله. بعض الناس تسيء فهم القضاء والقدر. تقول الشيء اللي احنا بندعوا به هذا. إما أنه شيء قد سبق في علم الله وفي تقدير الله فهو واقع دعونا أم لم ندعوا. إن لم يقع فأيضًا الدعاء لن يقدم شيئًا ولن يؤخره فظننت طائفة صحة هذا السؤال فتركت الدعاء. قالوا فعلاً الدعاء يعني إيه؟ ان كان الشيء المدعو به قد قدر فلا بد من وقوعه دعونا أم لم ندعو، وإن لم يكن قد قدر فلن يقع أيضًا دعونا أم لم ندعوا. فهذا السؤال أصلًا سؤال غير صحيح. سؤال في حد ذاته غير صحيح ولا يصح مثل هذا السؤال. بعض الناس ظننت أن هذا السؤال صحيح فافتتعت به وتركت الدعاء. وحرمت من هذا الخير وقالت: الدعاء لا فائدة فيه. هنا يشرع ابن القيم في ذكر انحرافات الناس في تصورهم لقضية الدعاء. يقول: هؤلاء مع فرط جهلهم وضلالهم متناقضون، فإن طرد مذهبهم - فرض مذهبهم - يوجب تعطيل جميع الأسباب. الدعاء سبب من أسباب حصول القدر، سبب لحصول القدر، فإذا كان الكلام الذي يقولونه يعني أه صحيحًا إذا يطردونه، يطردونه يعني يطبقونه على كل شيء. بمعنى إذا جاع مثلاً لا يأكل؛ لأن ربنا كتب عليه أنه يكون جعان، أو إذا مرض لا يتداوى يقول: أنا ربنا كتب عليّ أن أتداوى. فكان كتب لي الشفاء فسوف يشفيني شئت خدت الدواء أم لم أخذه. إذا كنت عطشان فهذا قدر الله أني أعطش. المفروض أيضًا أنه ما يشربش لا يشرب الماء لماذا؟ لأن الماء أه يعني إذا كان أه إذا كان ربنا كاتب له أنه يعطش وكان هذا قدر الله فسواء شرب أم لم يشرب لن يذهب الإيه؟ العطش وهكذا. المفروض إن ألزموا بطرد قولهم على أه كل هذه الأشياء. وهم في الحقيقة لا يفعلون ذلك. بل إذا قلت لواحد منهم: اجلس في بيتك مثلاً والرزق سوف يأتيك والرزق مكتوب. فينطلق كالصاروخ ويقول: لكن كل شيء بسبب. كل شيء يكون بسبب. يحفظون هذه تمامًا. الشاهد يقول الامام ابن القيم: ظننت طائفة صحة هذا السؤال فتركت الدعاء وقالت: لا فائدة فيه، وهؤلاء مع ترك جهلهم وضلالهم متناقضون. يعني مع أنفسهم. فإن طرد مذهب مذهبهم يوجب تعطيل جميع الأسباب. فلا بد أن تعطل جميع الأسباب